

وثائق السراي الحمراء بمدينة طرابلس محمد الطاهر عريبي

الجمهورية العربية السورية الشعبية الاشتراكية



أمانة النسخ والنشر
مصلحة الآثار

هنا يوسف اللواتي

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

@ • & @ ^ E ! * E ^ a • E @ • a ' a ! a {

انجان
الدار العربية للكتاب

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
أمانة التعليم والتربية
وصلة الآثار

موسى يوسف الدويهي

وثائق السراي الحمراء

محمد الطاهر عمريني
أمين بدار المحفوظات التاريخية

نشر بإشراف الإدارة العامة للبحوث
التاريخية والمحفوظات التاريخية
١٩٧٢/١٣٩٧

هنا يوسف اللواتي

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

@q • KDe&@q^E! * E^aa • E @e • a ' a!a@{

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لدور الوثائق في جميع انحاء العالم اهمية بالغة في اعداد الدراسات التاريخية الدقيقة . وقد حظيت دار المحفوظات التاريخية في ليبيا باهتمام كبير لتمكينها من اداء دورها المناط بها ، فقد ساهمت هذه الدار بالفعل في اعداد كثير من البحوث التاريخية الاكاديمية التي قدمت لدور البحوث والجامعات ، كما قدمت الخلفيات التاريخية لمختلف القضايا في مختلف المؤسسات وذلك بالاضافة الى خدماتها اليومية للمواطنين.

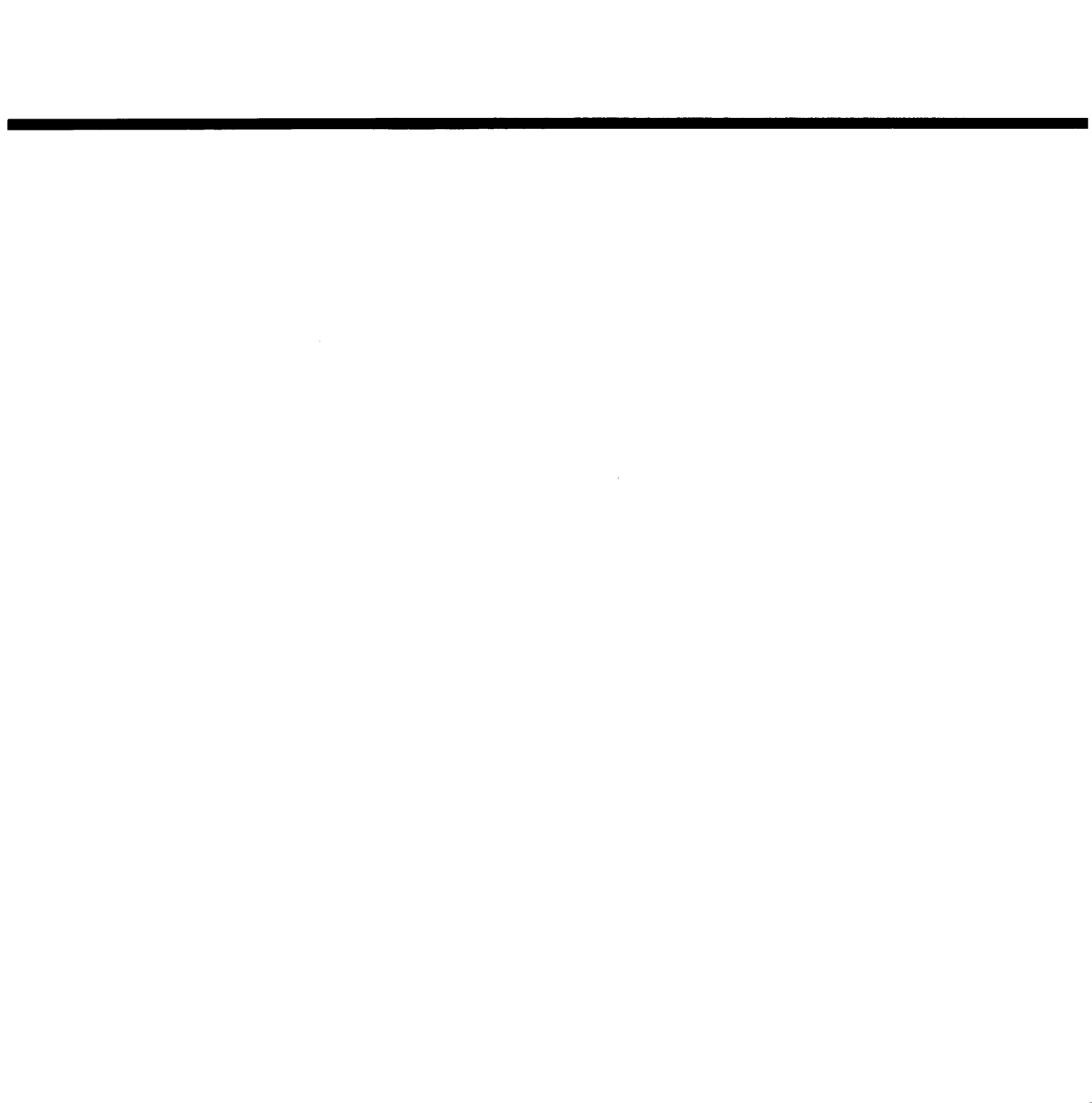
ودار المحفوظات التاريخية تتبع اداريا للادارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية بمصلحة الآثار ، ويقع مقرها داخل قلعة طرابلس او السراي الحمراء ، ولهذا السبب حاولت في بداية هذا الجهد المتواضع ان اعطي لمحة تاريخية عن قلعة طرابلس ، واردفنتها بلحة اخرى عن دار المحفوظات وتاريخ قيامها ثم في أثناء حديثي عن وثائق دار المحفوظات حاولت أن أبرز المعالم المختلفة لمصادر هذه الوثائق.

ولا يفوتني في هذه المقدمة ان أتقدم بالشكر للدكتور صلاح الدين حسن رئيس مصلحة الآثار على قيامه بمراجعة هذا البحث من الناحية العلمية ، حيث انه متخصص في التاريخ الحديث ، وأستاذ لهذه المادة بجامعة قاريونس.

وأشكر ايضا كل من قدم لي المساعدة في اعداد هذا الجهد المتواضع وأخص بالذكر الاساتذة محمد الأسطى وعبد الوهاب عليوة ومحمود أبوحامد ، كما أتقدم بالشكر للاستاذ محمد علي ظافر المدني والى والدي الطاهر عريبي على قيامهما بمساعدتي في ترجمة المراجع الايطالية والى الاخ فؤاد السري على مساعدته القيمة في اعمال الطباعة على الآلة الكاتبة . وبمساعدة هؤلاء الأخوة عساي أكون قد وفقت ...

محمد عريبي

طرابلس يونيو ١٩٧٧ م.



قلعة طرابلس

« لا يمكن ان تجد موقعا لقدم الا فوق الجثث » . بهذه الكلمات وصف «بيترو دي نافارو» قائد الغزو الصليبي الاسباني لطرابلس سنة (١٥١٠ م .) المذبحة التي أقامها جنوده لأهلها عقب استيلائهم على مدينة طرابلس . وبهذه الكلمات ذاتها نتعرف على حلقة من حلقات التاريخ التي مرت على مدينة طرابلس تلك الحلقات التي تزينها دماء زكية بذلها اصحابها في سبيل هذه البقعة من أرضنا الطيبة التي تقف شامخة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ، راوية بطولات ابنائها مشيدة بكفاحهم الطويل عبر التاريخ.

هذه القلعة التي يسميها المحدثون « السراي الحمراء » ما قصتها ؟ .

ولماذا سميت بهذا الاسم ؟ .

ان كلمة « السراي » كلمة فارسية استعملها الاتراك للدلالة على قصر الحاكم أو الوالي ، واما وصفها بالحمراء فلا تذكر لنا اي من المصادر والمراجع سببا لذلك بل لم يستعمل المؤرخون اسم السراي الحمراء اصلا ، والتعليل المنطقي الوحيد لهذا الوصف هو حمرة لون جدرانها ، اما لانها كانت تطل باللون الأحمر او أنها كانت تترك بدون طلاء فيظهر لونها أحمر ، لانها بنيت بالتربة الرملية الحمراء.

ويرى البعض أن هذا التعليل مشكوك فيه ، لأنها كانت السراي الوحيدة في طرابلس ، فلا داعي إذاً لتمييزها بلونها لأنه لا توجد سراي أخرى نميزها عنها ، كذلك استدلوا بالربان التركي الحاج محمد بييري في كتابه عن البحرية الذي يصف فيه قلعة طرابلس أثناء زيارته لمينائها قبيل الاحتلال الاسباني ، بأنها بيضاء تبيض بالجير كل سنة .

ونرد على هؤلاء البعض بأنه كانت توجد سراي أخرى انشأها وسكنها درغوث باشا (١٥٥٦ - ١٥٦٥ م) . بباب البحر مكونة من دورين مفصولين بالشرفات والاروقة ومحاطة بالحدائق ، ولذا كان لزاما على الناس التفريق بين السرايتين بوصف احدهما بلونها الاحمر ، لأن لون جدرانها كان احمر فعلا في ذلك الوقت ، ونستدل على ذلك بوصف المؤرخ احمد النائب لحريق مخزن البارود بقوله « في اواسط محرم سنة ١٢٨٢ هـ . احترق مخزن البارود - الجبخانة - الكائن بالبرج الأحمر » (١) . وكما هو معروف فان الذي انشأ مخزن البارود هو درغوث باشا وجعله تابعا للقلعة فطبيعي ان يكون لون جداره الأحمر كلون القلعة التابع والملاصق لها . ومن هنا نستنتج بأن تسمية قلعة طرابلس باسم السراي الحمراء ظهرت مع بداية العهد العثماني الاول (١٥٥١ - ١٧١١ م) .

وقصة هذه القلعة طويلة ، نتيجة لقدم منشئها وللمدى التاريخي الطويل الذي مرت به ، وتعرضت خلاله الى تغيرات كبيرة في عمارتها حسب ذوق ومتطلبات كل عصر ، وتبلغ المساحة المقامة عليها هذه القلعة تقريبا ثلاثة عشر الف متر ، وطول ضلعها الشمالي الشرقي مائة وخمسة عشر مترا ، والشمالي الغربي تسعون مترا ، والجنوبي الغربي مائة وثلاثون مترا ، والجنوبي الشرقي مائة واربعون مترا (٢) .

(١) احمد النائب : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٢) هذه القياسات اخذت من تقرير عن متاحف السراي الحمراء أعدته مراقبة آثار طرابلس .



أحد المكتشفات الأثرية أثناء الحفريات التي أجريت بقلعة طرابلس

ولا ندري ما كان يشغل نفس هذه المساحة من الارض زمن الفينيقيين ، الذين كانوا يبحرون مساحلين للشواطئ اللببية للتجارة حيث اقاموا مراكز تجارية منها مركز طرابلس ، بيد اننا نعلم ان « هذه البقعة كانت مقرا لمبنى عام كبير نعله كان حماما (١) فقد أجريت بقلعة طرابلس زمن الاستعمار الايطالي عدة حفريات أثرية ، اكتشفت خلالها آثار لجدران بعض الأساسات ومنصات من حجر الرمل ، وقطع من الفسيفساء ، وأعمدة كورنثية كبيرة . وهذه الآثار تدل على أن المبنى كان فخما ، والحمامات الرومانية كانت تتطلب مساحة من الأرض تقارب مساحة هذه القلعة ، فقد كانت الحمامات مشتملة على ملاعب فسيحة للرياضة والعباب القوى التي كانت تمارس قبل الاستحمام ، وكذلك بعض القاعات منها قاعة للرياضة الجسمانية والجمباز ، وأيضا حوض للسباحة في الهواء الطلق ، وكذلك كانت المراحض العامة FORICA تلحق عادة بالحمامات ويتوسط كل هذه المنشآت بهو فخم كبير مزدان بكثير من التماثيل .

وقد تهدم هذا المبنى حتما عقب قيام الحروب المتعددة والتي أصيبت فيها لبدة وطرابلس بالتخريب . وأسوأ عمليات التخريب تلك التي قام بها الوندال ، الذين لم تبين في عهدهم أيضا قلعة طرابلس ، حيث انهم لم يهتموا سواء بالناحية الاقتصادية او الاستراتيجية في مدينة طرابلس التي اكملوا احتلالها حوالي سنة ٤٥٥ م . ولم يهنا لهم فيها بال ، اذ أمر جنسريك - ملك الوندال - بهدم أسوارها ، ولم يبق على أية استحكامات قد يستغلها أعداؤه ، ولهذا فانه من غير المعتقد أن عهد الوندال شهد تشييد قلعة طرابلس ، ويظهر لنا ذلك جليا في عدم صمود الوندال في طرابلس سنة ٤٦٨ م . لغزو قوة صغيرة أرسلها - ليو الأول - أحد أباطرة الأمبراطورية الرومانية الشرقية

(١) د. هانيز : اثار طرابلس ، ص ٨٦.

بقيادة هراقليوس ، استولت بسهولة على المدينة غير المحصنة وطردت حامية الوندال . وعقب هذه الغزوة بدأ الاستعمار البيزنطي لطرابلس سنة ٥٣٤ م . والمعتقد أنه خلال شيدت قلعة طرابلس . ويستند هذا الاعتقاد الى اعتبارات ، اولها أن حكم البيزنطيين اختلف عن حكم الرومان، حيث حكم الرومان منطقة واسعة في دواخل طرابلس، ولم يقيموا تحصينات مهمة في المدن الساحلية معتمدين على خط تحصيناتهم القوية في غدامس والقريات وأبي نجيم وكذلك على المزارع المحصنة الممتدة على طول هذا الخط ، بينما لم يتعد سلطان البيزنطيين منطقة الشريط الساحلي ، حيث كانت الدواخل في شبه ثورة مستمرة . ولهذا فانه كان لزاما عليهم أن يهتموا أكثر بتحصين المدن الساحلية ومنها طرابلس وقد فعلوا ذلك زمن حكم أمبراطورهم جستنيان .

كذلك فان أخبار الفتح الاسلامي لمدينة طرابلس تقوي الاعتقاد بأن قلعتها كانت موجودة زمن البيزنطيين ، اذ ان قوات الفتح الاسلامي قد عسكرت شرقي مدينة طرابلس القديمة، في المكان الموجود به الآن ضريح الشيخ عبد الله الشعاب (١) ، وحاصرت المدينة سنة ٦٤٢ م . لمدة تقرب من الشهر ولم تستطع فتحها من ناحيتها الشرقية نظرا لوجود القلعة في هذه الجهة ، وقد تم فتحها ودخولها من ناحيتها الغربية ، حيث اكتشف الجنود المسلمون أثناء حالة الجزر البحري وجود اتساع في الطريق بين نهاية السور والبحر ، اذ لولا وجود القلعة في الناحية الشرقية للمدينة لاكتشف المسلمون سبيل الدخول اليها من الجهة الشرقية وهي الأقرب بالنسبة لهم وأمام أنظارهم .

واستمر استخدام قلعة طرابلس ، للدفاع عن المدينة ضد الغزوات المسيحية ، وكان ذلك

(١) أبو محمد عبد الله الشعاب هو أحد رجال طرابلس الفضلاء . أتم بناء المسجد المعروف باسمه وانقطع فيه للعبادة والتصوف . وبالرغم من هذا فقد كان نجارا ولا يأكل الا من كسب يده ، توفي سنة ٨٥٧ م .

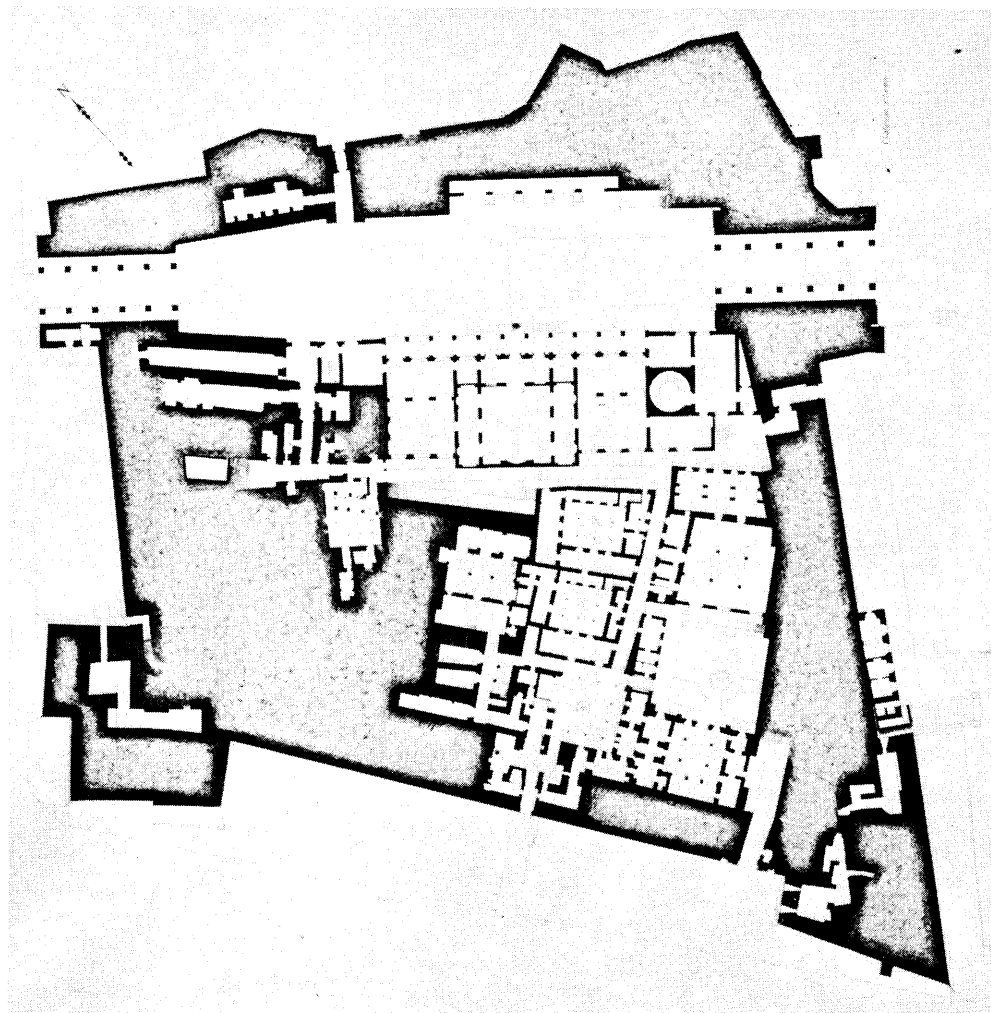
زمن من كانوا يحكمون باسم خليفة المسلمين ، أما عندما انفصل بها حكامها وانفردوا بحكمها ، وتزايدت اطماعهم الشخصية ، وبدأ نتيجة لظلمهم بركان الثورة يغلي في عروق الناس ، تغيرت مهمة القلعة من الدفاع عن المدينة ضد غزاتها الى الدفاع عن احكام ضد أهل المدينة . والأدلة على ذلك كثيرة أهمها أن القلعة كانت مفصولة عن المدينة كلية بخندق متصل بالبحر يحيط بالقلعة من جميع جوانبها ولا سبيل الى الوصول اليها الا عن طريق جسر يرفع من داخل القلعة عند اللزوم ، كذلك فان الاخبار تفيدنا بأن هذه القلعة قد ساعدت كثيرا من الحكام خلال مختلف العصور في الدفاع عن أنفسهم.

ومن هذه الأخبار ايضا خبر من القرن التاسع الميلادي حيث ساعدت القلعة عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب في الدفاع عن نفسه ضد الجنود الذين ثاروا عليه . كذلك خبر آخر من القرن السادس عشر الميلادي عندما ثار المرابط الليبي نبال على الحكم العثماني ودخل مدينة طرابلس في اغسطس سنة ١٥٨٩ م . اذ أن الباشا العثماني حسين قد تحصن بالقلعة التي أخذ يطلق منها على المدينة نيران مدفعيته انتظارا لقدم النجدة التي طلبها على وجه السرعة من الأستانة » . (١).

و اول المؤرخين الذين تحدثوا عن القلعة كان الرحالة الشهير - التيجاني - (٢) ، الذي زار قلعة طرابلس وسكن فيها أول مرة سنة ١٣٠٧ م . رفقة أحد ملوك بني حفص - أبي يحيى زكرياء اللحياني - حيث يطلعنا التيجاني على وصف القلعة فيقول : « وتخلى والي البلد اذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا بها ، ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الخراب قد تمكن منها وقد باع الولا أكثرها ،

(١) فيرو ، شارل : الحوليات الليبية ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، ص ١٦٣ .

(٢) هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التيجاني ، وقام برحلته في تونس وطرابلس في طريقه للحج رفقة أبي يحيى زكريا اللحياني من سنة ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م .



خريطة للدور الارضي لقلعة طرابلس

فما حولها من الدور التي تكتنفها الآن انما استخرجت منها ، ولها رحبتان متسعتان (١) . وفي سنة ١٣١٧ م . استقر ابو يحيى زكريا اللحياني في مدينة طرابلس حاكما ، حيث شيد في قلعتها مكانا لجلاسه وسماه الطارمة . وقد أشار ابن غلبون الى هذه القاعة التي بنيت بأقواس فخارية مطلية وبالمرمر ، كذلك أحدث أبو يحيى عدة تغييرات في القلعة خلال فترة حكمه القصيرة.

وتنقطع عنا أخبار القلعة حتى قبيل عهد الاستعمار الصليبي الاسباني ، عندما يحدثنا عنها الربان التركي الحاج محمد بيبري رئيس ، في كتابه عن البحرية وقد سبقت الإشارة الى وصفه للقلعة.

أما بداية انشاء قلعة طرابلس على الشكل الموجودة هي عليه الآن ، فقد كانت سنة ١٥١٠ م . أي السنة التي بدأ فيها حكم الصليبيين الاسبان لطرابلس ، والذين ما كادوا يستقرون في طرابلس حتى بدأوا في تأمين جانب الأهالي ، اي أنهم اهتموا بتحسين القلعة التي سيقومون فيها ويعتمدون عليها في حمايتهم من ثورات اهالي المدينة الذين هم أعداؤهم بالطبع ، فانصببت اصلاحاتهم على الحصنين اللذين في جانب المدينة ، الأول الحصن الذي أسموه حصن القديس جورج ، والذي يطل على شارع الشهيد المقرئ حاليا حيث يوجد الآن مقر دار المحفوظات التاريخية ، أما الحصن الآخر الذي اهتم الاسبان باصلاحه فهو ذلك الحصن الذي يقع في الطرف الجنوبي الغربي للقلعة ، حيث ميدان الساعة الآن - وبمناسبة احتلال الاسبان لمدينة طرابلس في يوم ٢٥ يوليو من سنة ١٥١٠ م . والذي صادف عيد القديس يعقوب ، فقد أطلقوا اسم حصن القديس يعقوب على ذلك الحصن الواقع في الطرف الشمالي الشرقي للقلعة وان لم يهتموا بتحسينه اسوة ببقية البرجين الآخرين اللذين استخدم الاسبان في ترميمهما حجارة اخذت من

(١) التجاني ، الرحلة ، ص ٢٣٥ .

أسوار المدينة ، والتي لم يرممها الأسبان بل أنهم قد حطموا أجزاء منها لاستغلال حجارتها في ترميم القلعة . ولا نستبعد استخدامهم كذلك لأحجار بعض المساجد والبيوت ، فقد « هدم الأسبان المسيحيون مساجد وبيوت عربية لمحو الطابع العربي للمدينة » (١).

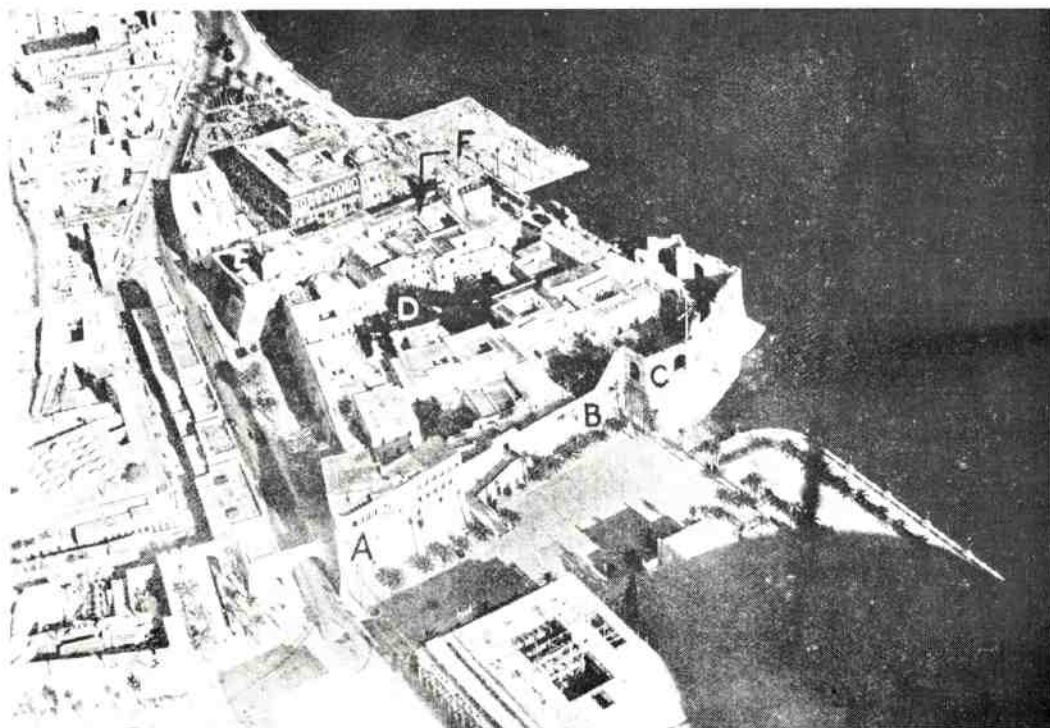
هذه الترميمات والإنشاءات أنجزها الأسبان في القلعة ، ولا نعلم اسم المهندس الذي قام بتصميمها ، بل ونجهل في عهد أي من الولاة الأسبان تمت ، ولكنها بالطبع كانت في الفترة من سنة ١٥١٠ م . حتى ١٥١٨ م . حيث جاءت في وصف جيوفاني أريكا لرحلته في افريقيا سنة ١٥١٨ م . وبعد هذه السنة بست سنوات وضعت مجموعة من فرسان مالطا (٢) تقريرا عن حالة القلعة سنة ١٥٢٤ م . يمكننا ان نعرف من خلاله حالة القلعة وشكلها العام في بداية تكوينها بالشكل الذي هي عليه الآن ، وقد قالت هذه المجموعة في تقريرها عن القلعة ما يلي : سبيل الدخول الى القلعة الطرابلسية غير ممكن درءا لانتشار العدوى ، ولكننا قمنا بالقياسات من الخارج ، وتبلغ مسافة الجانب الذي يمتد من الجنوب الى الشمال من القلعة ١٦٠ خطوة ، ومن الشرق الى الغرب أي على طول الواجهة التي تطل على المدينة مئتان ، الجهتان المقابلتان لهما شكل مربع تقريبا ، وينطبق Guidi ; Giacomo : il restauro del castello di Tripoli, P. 11.

(٢) تطورت هذه المنظمة عن هيئة دينية مسيحية كانت تساعد الحجاج المسيحيين للقدس ، وفي أثناء الحروب الصليبية سميت باسم الفرسان الاسبتارية لأنها كانت تقوم بإسعاف الجرحى الصليبيين ، وقد طردهم صلاح الدين الايوبي من القدس سنة ١١٨٧ م . فاستقروا في « عكا » التي طردوا منها كذلك سنة ١٢٩١ م . ثم أسسوا دولة مسيحية متعصبة جدا ضد الاسلام سنة ١٣٠٦ م . وسميت المنظمة باسم فرسان القديس يوحنا ، حتى طردهم السلطان العثماني سليمان الاول من رودس سنة ١٥٢٢ م . وعندما استقروا في مالطا سميت منظمته باسم فرسان مالطا . وقد كان استقرارهم في مالطا هبة من الامبراطور الاسباني شارل الخامس وقد كان منحهم جزيرة مالطا مشروطا بالدفاع عن قلعة طرابلس ومدينتها . وهذا التقرير وضعه ثمانية من خبراءهم تم ارسالهم لاستطلاع الوضع الدفاعي لطرابلس ومالطا ، ولكنهم لم يستطيعوا الدخول لقلعة طرابلس اذ كان الدخول اليها ممنوعا بسبب الخوف من العدوى . وفي عملية نزولهم لمدينة طرابلس وعدم تمكين الأسبان لهم من دخول القلعة دليل على ان الأسبان كانوا محصورين في قلعة طرابلس فقط .

عليهما نفس القياس الآنف ذكره ، وبهما خنادق اتساعها ٤٤ خطوة بعمق قدره قامتان (خمسة امتار تقريبا) وهذه الخنادق مغمورة بماء البحر بمسافة خطوتين او ثلاث خطوات ، الأسوار يصل ارتفاعها الى خمس قامات تقريبا ، على حافة الخندق الشرقية بئر واحد (١) . وفي داخل القلعة ثلاث آبار ، مأوها ثقيل مالح ، والقلعة مبنية فوق حجارة مرمرية ، وبها حصنان هرمان فقط نحو المدينة ، والباقي من الآثار القديمة - بمعنى أن حصن القديس جاكومبني زمن فرسان مالطا - أسوار القلعة تهاوت من ضربات الأمواج المستمرة ، وفي القلعة ذاتها مساكن جيدة لسكنى انوالي وقائد الحامية ولأفراد الجيش كذلك ، ولكنها محتاجة الى تصليحات أساسية ، وفيها عدد من المطاحن اليدوية ، ومن السهل احتلال القلعة بسبب قصر السور المحيط بها ووضع المنخفض بالنسبة لمنطقة الظهرة ، وضعف السور المملؤ بالتراب ، ومن السهل ملء الخنادق بالتراب .

وبالرغم من نصيحة هؤلاء الخبراء الثمانية من فرسان مالطا بعدم قبول شرط الدفاع عن طرابلس فان المرشد الأكبر - رئيس منظمة فرسان مالطا - قد قبل هذا الشرط القاسي الذي اشترطه عليه الامبراطور الاسباني لنحه جزيرة مالطا . وتم في يونيو سنة ١٥٣٠ م . استلام غاسبري دي سانغوسا لمهام منصبه كأول حاكم توفده المنظمة الى طرابلس . وتوالى بعده في حكم طرابلس عشر حكام آخرين حتى سنة ١٥٥١ م . وقد اهتم من هؤلاء الحكام بصفة خاصة بترميم القلعة اثنان هما : الراهب جورج سكيلنج (١٥٣٥ - ١٥٣٧ م) ، والراهب جوفاني لافاليتا (١٥٤٦ - ١٥٤٩ م) . وقد اهتم الاول

(١) يسمى هذا البئر باسم بئر الخندق الشرقية . ومكانه حيث يوجد تمثال سبتيميوس الان ، وماؤه حلو ، وفي حفریات سنة ١٩٣٢ م . وجد الماء حلوا مع آثار البئر القديمة جدا .



قلعة طرابلس

B ساحة القديسة باربرة

D مسجد القلعة

F الردهة القرمانية

A برج القديس جورج

C برج القديس جاكمو

E برج الجنوبي الغربي

باصلاح الاسوار التي هدمها الاسبان ، وكذلك ترميم بعض جوانب القلعة والاسوار الاضافية التي كانت تحمي اسوار القلعة الاصلية من الانهيار . اما الثاني جافاني لانليتيا والذي كان حاكما لطرابلس ثم اصبحت فيما بعد زعيما للمنظمة ، وانشأ عاصمة مالطا الآن التي سميت باسمه فالييتا ، فقد اهتم بتحسين القلعة وطلب من الامبراطور الاسباني شارل الخامس أن يساعد المنظمة في ترميم القلعة ، وكان ذلك بواسطة سفير أرسلته المنظمة للامبراطور مرفق بالخرائط الخاصة بالأعمال التي يعتزمون القيام بها من ترميم واصلاح ، وقد أوصت المنظمة سفيرها أن يخبر الامبراطور بأنه اذا لم يساعدهم فانهم سيضعون المتفجرات لنسف القلعة كليا (١).

وقد كانت الخرائط الخاصة بترميم القلعة من تصميم المهندس بيتشينو الفلورنسي ، مهندس المنظمة وصاحب تخطيط البرج الذي على أنقاضه أنشئت منارة ميناء طرابلس ولما رفض الامبراطور الاسباني فكرة نسف القلعة مع الموافقة على منح المنظمة جزءا بسيطا من المال الذي طالبوا به ، واعدوا اياهم بتدبير حملة لجمع الاموال بالتعاون مع البابا ، فقد اختصر لانليتيا عملية توسيع القلعة كثيرا حسب امكانياته المادية ، وبلاشتراك مع سكيلنج الحاكم الأسبق قدم لانليتيا مذكرة لاجتماع المنظمة في سنة ١٥٤٣ م . طالبوا فيها بجعل قلعة طرابلس قاعدة رئيسية للميشيا القديس جوفاني وقد قوبلت هذه الفكرة باستحسان ، غير أنه تقرر نقل هذه الفرقة الى طرابلس بالتدريج .

(١) اعترف احد الايطاليين وهو جياكومو غويدي في كتابه عن ترميم القلعة بان هذه الفكرة قد راودت الايطاليين في زمن استعمارهم لليبيا وكذلك للاستفادة من مكانها.

وقد أوفى الأمبراطور شارل الخامس بوعده للمنظمة وقام بحملة مشتركة مع البابا ، لجمع الأموال اللازمة لترميم القلعة ، حيث تم جمع مبلغ من المال قدره سبعون ألف سكود ونقدا ، كان معظمه من فرنسا ، وقد وضع هذا المبلغ في السفينة المسماة « كاترينيتا » وأرسل الى المنظمة ولكن هذا المبلغ الذي كان يريده الصليبيون عونا لهم على المسلمين ، تحول بمشيئة الله عونا للمسلمين على اعداء الاسلام ، اذ أنه لم يصل قط الى أيدي المنظمة ، فقد استولى البحار التركي درغوث بك على السفينة كاترينيتا قبل أن تصل مالطا ، وكان ضياع هذا المبلغ الكبير على منظمة فرسان مالطا ، سببا رئيسيا في رجوع طرابلس الى أيدي المسلمين ، ففي اليوم الخامس من اغسطس سنة ١٥٥١ م . بدأ الحصار العثماني لطرابلس ، في الوقت الذي كانت فيه حامية طرابلس التابعة لمنظمة فرسان مالطا تتألف من « بعض فرسان مالطا ، وستمائة وثلاثين جنديا من مرتزقة الكلابريزي - نسبة الى كلابري الجزيرة الايطالية - وفرقة من الصقليين ، وكانت القلعة وحصن المدريك مسلحين بست وثلاثين قطعة مدفعية ، وبقنابل رمانية وبصهاريج تلتهب فيها النيران لالقاء كرات المنجنيق على العدو » (١) .

وقد حاول العثمانيون احداث فجوة في سور قلعة طرابلس بواسطة المدفعية ولكنهم لم يستطيعوا ذلك ، حتى أخبرهم أحد جواسيسهم (٢) المتواجدين بالقلعة بأنهم اذا ما ارادوا احداث ثلم بسور القلعة فما عليهم الا ان يركزوا ضرب المدفعية على الساحة التي كان الاسبان يسمونها ساحة القديسة باربرة ، وهي الساحة الكائنة بين برج القديس جورج والقديس جاكمو (انظر الشكل رقم ٣) حيث ان هذا الموضع ضعيف لا يوجد وراءه

(١) فيرو : الحوليات ص ١٠٤ .

(٢) كان هذا الجاسوس جنديا بمنظمة فرسان مالطا ، ومن مواليد « كافاليون » الواقعة جنوب فرنسا. سبق له ان أقام في شمال افريقيا حيث تعلم اللغة العربية وقد نجح العثمانيون في استمالته للتعاون معهم

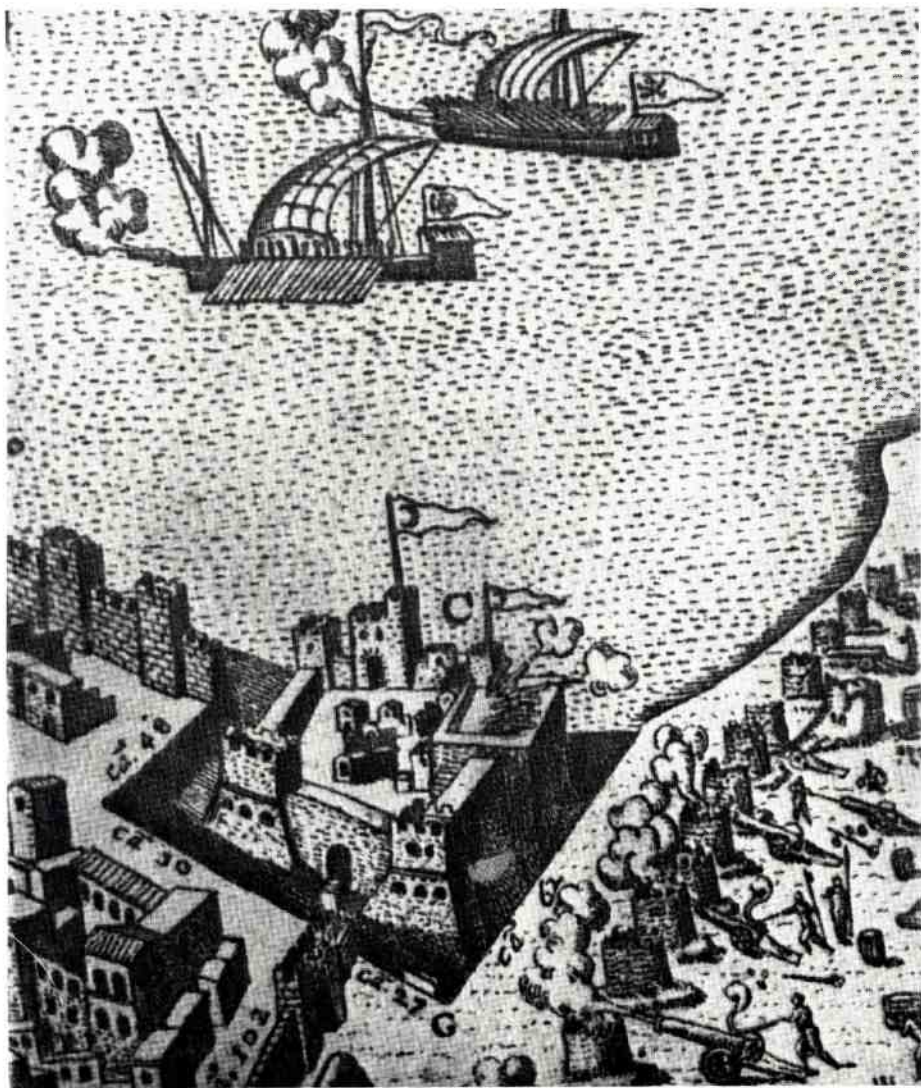
الا مسكن الوالي ومخزن الذخيرة التي نقلت الى كنيسة القديس ليوناردو ، وبالفعل فقد ركز العثمانيون ضربهم على هذه الجهة وحدثوا ثغرة بسور القلعة ، استسلم بعد احداثها جنود المنظمة الموجودون بالداخل ، واصبحت مدينة طرابلس في ذلك اليوم ١٤ اغسطس ١٥٥١ م . تابعة لحكم الدولة العثمانية.

وتنقطع عنا أخبار قلعة طرابلس منذ هذا التاريخ وحتى سنة ١٥٦١ م. عندما وقع أسقف كاتانيا واسمه « نيكولو ماريّا كاراتسيولو » في أسر درغوث ، وحينما اطلق سراحه قدم تقريراً في سنة ١٥٦٢ م . الى حاكم صقلية ، يصف فيه قلعة طرابلس بأنها ضعيفة ، اسوارها قديمة منهتة ، وكان كلامه عن القلعة مختصراً ، ولكنه مفيد لئلا نغيب فترة لا نجد فيها أخباراً عن القلعة ، سوى صور عديدة ذات طبيعة عسكرية توجد الآن في محفوظات الدولة في لندن وباريس تبين القلعة من الخارج فقط.

ولكننا نجد أخباراً مفصلة عن القلعة في النصف الثاني من القرن السابع ، وذلك في مخطوطتين لكتاب لمؤلف مجهول بالمكتبة القومية في باريس تحت رقم (١٢٢١٩-١٢٢٢٠) وهذا المجهول وقع أسيراً في المياه الطرابلسية أثناء معارك كانديا (١) ، والمعتقد أنه الجراح الفرنسي « جيرارد » الذي أسر وأطلق سراحه بموجب الاتفاقية بين طرابلس وانجلترا التي عقدت بتاريخ ٢٦ مايو ١٦٧٦ م.

ويقول الجراح الفرنسي عن قلعة طرابلس في الفترة ما بين ١٦٦٨ - ١٦٧٦ م . ما يلي « السراي الطرابلسية هي مدينة الولاية ، اسسها الافارقة ثم رممها ووسعها الاسبان

(١) معارك كانديا ، هي حصار العثمانيين لميناء كانديا بجزيرة كريت . وقد شارك فيها اسطول ليبي مستقيراً بالإضافة الى اساطيل تمثل اقاليم الامبراطورية العثمانية ، وفي الاستعراض الذي تم امام امام السلطان احتل الاسطول الليبي مكان الصدارة اعترافاً من القسطنطينية بفضلها.



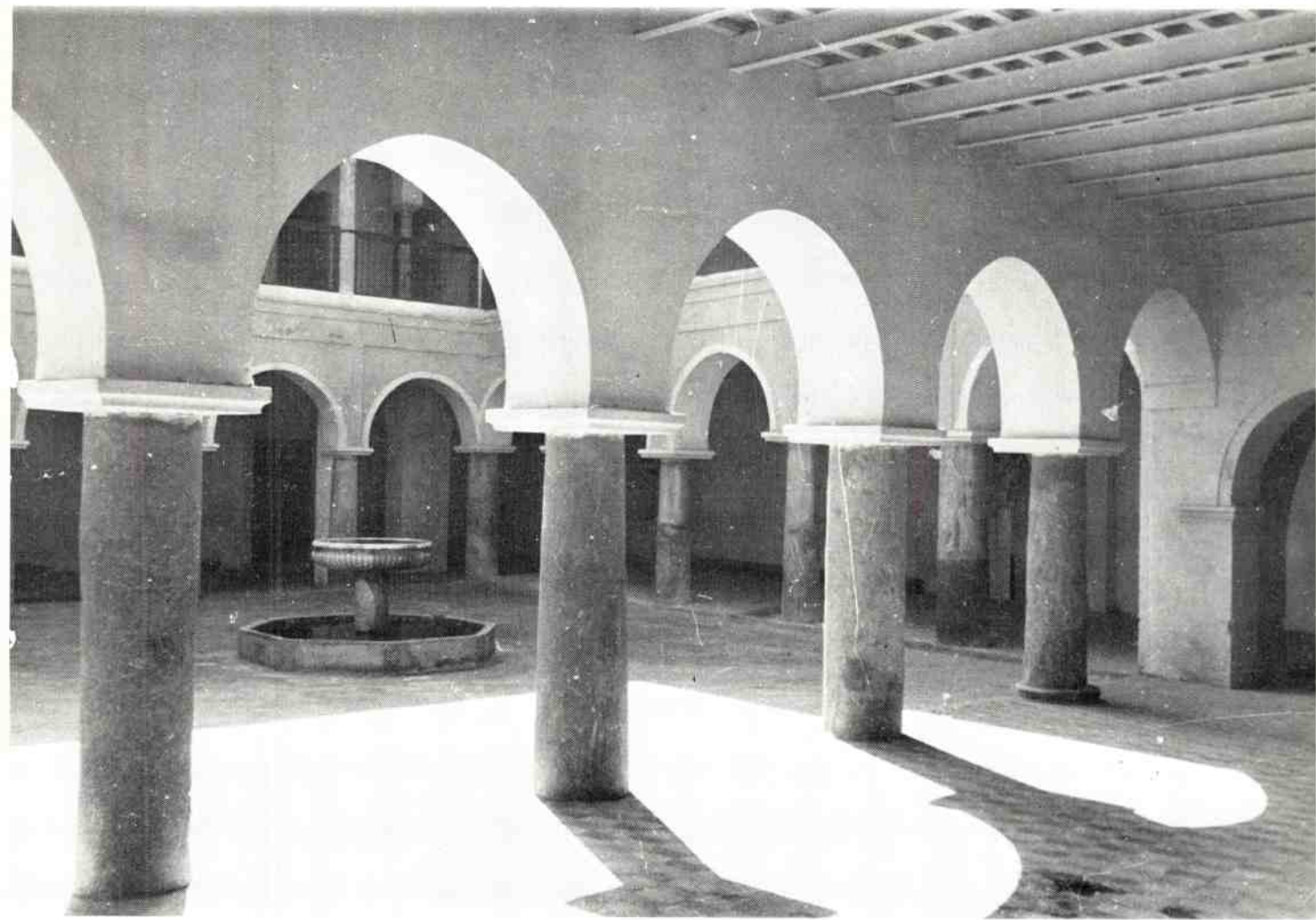
رسم قديم سنة 1957 م يمثّل قلعة طرابلس أثناء هجوم بحري

وبعدهم المالطيون وفرسان رودس ، الذين اطلق عليهم اسم فرسان مالطا ، وتقع فوق ركن المدينة في واجهة نصف النهار - واجهة الجنوب - . والمحيط الذي يستدير حولها طوله خمسمائة خطوة تقريبا ، البحر يطوق اسوارها الشرقية ، وبقية الأسوار يحيط بها خندق واسع عمقه قامة واحدة . شكل السراي مربع ، فوق حافتها اربعة ابراج ذات ارتفاع لا بأس به . والاسبان أسموها : برج القديسة باربرة وبرج القديس جاكمو (يعقوب) وبرج القديس جورج . في الوقت الحاضر أصبحت هذه الأسماء مجهولة ، مدخل السراي ليست عليه موانع ولا جسور ولكن الأبواب الأربعة تتقل في المساء كلها ، وتحتوي السراي في داخلها على مساكن كثيرة وبابها وضعت فوقه نافورة ينساب منها الماء على هذه النافورة صناعيا من بئر يبعد عن باب المنشية (١) نفس المسافة التي تصل اليها رمية البندقية ، فوق الباب قطعة من المرمر نقش فوقها ما يدل على سلاح اسباني ومذهب مالطا الديني ، وقد نقش الاتراك فوقها سطرين مكتوبين ، وهناك سقينة الحراس وامامها حجرة صغيرة يستريح بها رئيس الحرس ، (هذا ما يجري في النهار، أما في الليل فيدخل الحرس على بكرة ابيهم الى السراي ولا يبقى خارجها أحد منهم). وبمجرد ما يدخل المرء الى سقينة الحرس فانه يلاحظ على جدرانها الكثير من البنادق والسيوف المعلقة والكراسي المصوفة لجلوس الحراس . وعلى شمال الداخل الى السراي هناك دهليز طويل يجلس فيه محمد باشا وعثمان باشا على مقعد مطلي بماء الذهب عندما يستقبلان شواش الباب العالي ورسل السلطان او الشخصيات البارزة ، غير ان هذا المقعد الشبيه بالعرش حطمه بالي داي سنة ١٦٧٤ م . بناء على نصيحة من خليل باشا ، ويعتبر هذا الدهليز أيضا مقرا لسكرتارية الولاية . واذا تجاوز الداخل الباب الرابع

(١) باب المنشية ، هو الباب الذي بين دار البارود والقلعة .

فانه يصل الى برحة يسمونها الميدان ، حيث يقضي الوالي النهار في جلسات يعقدها في هذا الميدان لتصريف شؤون الحكم ويجلس الوالي فوق مقعد خشبي ملاصق للجدار ليس عليه أي نوع من أنواع الزخرفة ، وهذا الكرسي هو بمثابة العرش . وفي مؤخرة الدهليز المعد لجلوس الكتبة فتحة تطل عليه ، انها نافذة ذات قضبان حديدية متشابكة يصدر الوالي اوامره على الكتبة منها ، وكلما اتجه المرء نحو الشمال اتسعت البرحة تدريجيا حيث يوجد مسجد الجند الذي كان كنيسة في عهد فرسان مالطا ، وكانت تسمى كنيسة القديس ليوناردو ، وقد حولها مراد آغا ١٥٥١ - ١٥٥٣ م. الى مسجد . اما جميع ما تبقى من ارض السراي فهو مملوء بالبنائيات السكنية ومخازن السلاح والذخيرة . كذلك توجد صيدلية وأفران ومطاحن وثلاثة سجون حيث تنفذ احكام الاعدام . وهناك حمام صغير يسجن بداخله الأسرى الذين يعملون في خدمة الباشا وضباطه ، وأخيرا هناك الخزانة حيث تحفظ أموال الولاية ويمنع الدخول اليها منعاً باتاً ، ولا يدخل الوالي الى الخزانة الا ليلا ومعه أحد اعوانه المخلصين . أما على اسوار السراي فهناك اربعون مدفعا من نوع ردى، وضع معظمها على الواجهة البحرية . ومدى هذه المدافع يستطيع حماية الميناء ومدخله ، ولكن اذا هاجم اسطول مسيحي طرابلس فما عليه الا قصف السور المنهار ليحدث فيه شرخا بعد بضع ساعات من القصف ، وللسراي ايضا باب وهمي على البحر ، .

هذه المعلومات القيمة التي زودنا بها الجراح الفرنسي تكشف لنا بالتفصيل حالة السراي في تلك الفترة ، حيث كان الولاية في ذلك العهد العثماني الأول يستخدمون القلعة في كل شيء ، بدأ بسكنى الجنود الى سك النقود ، وفي هذه الفترة أيضا حاول عثمان باشا ١٦٤٩ - ١٦٧٢ م . ان يقوم باصلاح شان القلعة من الناحية الدفاعية وخاصة من جهة البحر فقد فكر في انشاء رصيف يرد الامواج عن ذلك الجانب ، ويمكن استخدامه عند الضرورة قاعدة لبعض قطع المدفعية للدفاع عن الميناء ، ولكن فكرته هذه لم يكتب



الدور الارضي للردهة القرمانيّة

لما أن تنفذ على أرض الواقع . وبقيت هذه القلعة على ما هي عليه من الناحية الدفاعية ، أما من الداخل فقد تغيرت حيث أنشئت في العهد القرمانلي (١) الردهة القرمانية ، وهي موجودة الى يومنا هذا حيث تستخدم الآن كمقر لادارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية ، وقسمي الترميم والهندسة التابعين لمراقبة آثار طرابلس ، (مع ملاحظة انه اضيفت اليها بعض المباني زمن الاحتلال الايطالي).

وتصف لنا الآنسة توللي الانجليزية التي عاشت في طرابلس في الفترة ما بين ١٧٨٣ - ١٧٩٣ م . تصف لنا القلعة كما يلي (٢) « القلعة محاطة بسور يبلغ ارتفاعه ٤٠ قدم ، فيه عدد من الشرفات المبنية على أعلى السور والمنفصلة بعضها عن بعض ، وعدد من الكوات لفوهات المدافع والأبراج ... تغيرت معالمها المعمارية من الداخل نتيجة للاضافات الشاذة التي قام بها الباشا الحاضر لتضم الفروع المتعددة من اسرته ... بعد المرور من الباب الخارجي ، تدخل اولا وسط الحوش في القلعة المكتظة بالحراس .. حيث يجلس الكيخيا ».

هذا وقد اهتم القرمانليون بترميم القلعة ، وأضافوا بعض العقارات الى مجموعة أوقاف السور (٣) ، على أن تكون القلعة من ضمن المنشآت المستفيدة من هذه الأوقاف.

وتشرح لنا الوثيقة رقم (٦٨٩ أ) بدار المحفوظات التاريخية هذه العملية ، وهذه

(١) تعود الناس لفظ هذا الاسم بالقرمانلي ، وحرف اللام في آخر الكلمة يستخدم في اللغة التركية للنسب ، أي أن قرمانلي التركية منسوب الى قرية قرمان ، ولذا الصحيح في لغتنا العربية هو قرمانلي ، أي ان نستخدم باء النسب في اللغة العربية .

(٢) الآنسة توللي ، عشرة أعوام في طرابلس ، ترجمة د. عبد الجليل الطاهر ، ص ١٠٣ .

(٣) هناك عدة عقارات موقوفة منذ زمن قديم على سور مدينة طرابلس ، حيث يستفاد من الدخل الذي تدره في عمليات ترميم السور المذكور .



الطابق الثاني من الردهة القرمانيّة

الوثيقة عبارة عن رد من احدى الجهات في الدولة على استفسار من الوالي العثماني ، وهي مجهولة التاريخ ولكن المؤكد انها من العهد العثماني الثاني ، تقول الوثيقة : « والحال أن وقف السور المذكور مربوط للقلعة لأجل أن تكون واردات المحلات الموقوفة لتعمير القلعة وليس وقفا مثل اوقاف الجوامع الشريفة ولا فيهم خيرات لا لجوامع ولا مدارس ، والسبب في ذلك في زمان الولاية السالفين مثل يوسف باشا وما قبله جعلوا وسيلة الى تعلقاتهم وبعض الاهالي ان يشتروا محلات مثل حياش ودكاكين وغيره ويجعلوها لفظ بصورة وقف على السور عبارة لاجل تعمير محلات القلعة » .

وعندما بدأ العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ - ١٩١١ م) . تغيرت كثيرا من المباني بداخل السراي الى مكاتب ، ولكنها أهملت حتى أضحت في حالة يرثى لها ، حيث يصفها لنا كاتب فرنسي سنة ١٨٥٥ م . ويقول انها كانت في خراب فظيع لمن يراها ومن يسكنها ، ولا يمكن أن ترتقي درجة الا وتشعر بخطر دق عنقك ، ولا ان تمر بصالة الا ان تشعر بخطر سقوط السقف عليك او ان تهوي في هاوية سحيقة لا قرار لها .

ولكن ولاية العهد العثماني وان اهملوا المباني داخل القلعة ، الا انهم حاولوا الاهتمام بترميم أسوار القلعة من الخارج ، ففي سنة ١٨٤٧ م . تهدد سور القلعة من الناحية البحرية بالسقوط فسارع الوالي العثماني حينذاك باجراء عملية الترميم ، وتبين لنا احدى الوثائق (١) كيفية ترميم هذا الشرح حيث جاء فيها ما يلي : « صار اعمال صناديق بحزامات لأجل وضعهم في البحر وردم تلك المحل من الحجر الموجود وانشاء تامل (٢)

(١) وثيقة رقم « ٦٨٩ ب » بدار المحفوظات التاريخية .

(٢) كلمة تركية تعني أساس البناء .

ملاصق الى حائط السور المذكور » . وقد تم صنع تلك الصناديق المذكورة من ألواح اخذت من بعض المباني المنهارة بداخل القلعة.

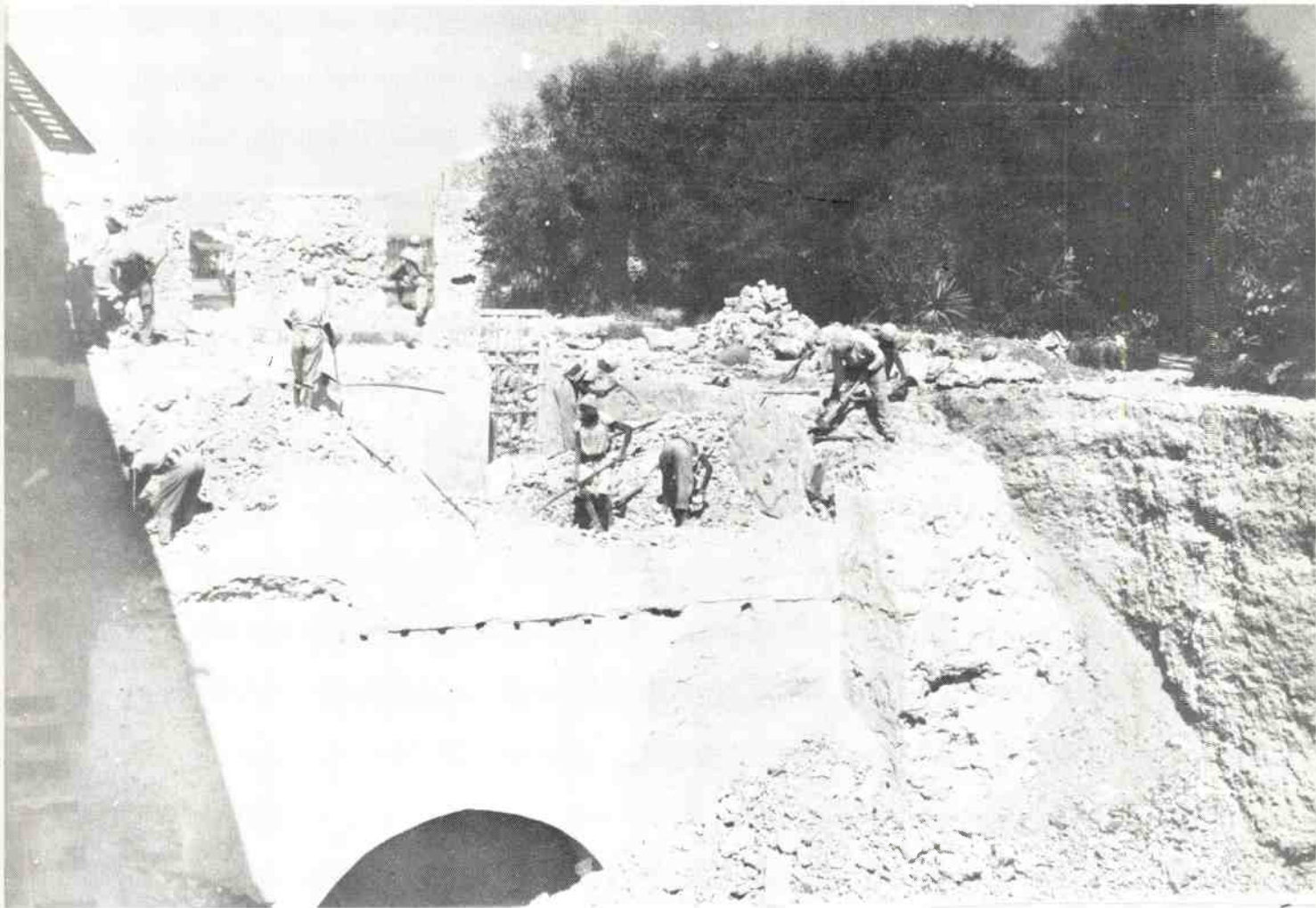
وظلت القلعة على هذه الحال حتى بدأ الاستعمار الايطالي لليبيا حيث أجرى المستعمرون عدة تغييرات في الشكل العام للقلعة وهنا نترك المجال لاحدهم ليحدثنا عما فعلوا بها فيقول : « أجرينا أثناء الحرب العظمى الاولى بعض التعديلات والترميمات ، وهذه غير مقصود بها صالح القلعة من الناحية الأثرية بل صالحنا نحن فقط ، حيث اقفلت ابواب ونوافذ وفتحت اخرى حسب المصلحة ، وفي هذه الفترة ضاع كثير من الزخرفة الموجودة بالقلعة ، وحلت محلها زخارف عصرية قبيحة ، وقد وضع المهندس ارماندو براسيني سنة ١٩٢٢ م. واجهات برج القديس جورج ، والاقواس الموجودة على انقراض برج القديس جاكمو ، وقد استوحى المهندس المذكور فكرة الاقواس الموجودة فوق برج القديس جاكمو من اقواس فالييتا بمالطا » . (١)

ولم تكن هذه التغييرات هي التي استحدثها المستعمرون الطليان فقط بل انهم فتحوا الطريق الموجود الآن تحت القلعة ، وفتحوا ايضا الباب الموجود الآن فوق السلام المؤدية الى ميدان السراي ، وبنوا بعض المباني بداخل القلعة منها مقر دار المحفوظات التاريخية الآن.

أما اليوم فمراقبة الآثار بطرابلس تهتم اهتماما خاصا بالابقاء على شكل القلعة على ما هي موجودة عليه ، وتحرص على ألا تغير عمليات ترميم القلعة من طابعها القديم.

هذا وتضم المباني الداخلية بالقلعة في وقتنا الحاضر مكاتب مصلحة الآثار ، وجميع متاحف طرابلس فيما عدا المتحف الاسلامي الموجود الآن بمبنى أثري آخر بشارع سيدي

(1) Guidi ; Il restauro... P. 20.



عمليات التغيير التي اجراها الايطاليون في قلعة طرابلس

خليفة ، كما تضم القلعة ايضا دار المحفوظات التاريخية ، التي تحوي وثائق تاريخنا المجيد المعاصر ، وكذلك في العهود القرمانية ، والعثماني الثاني ، والايطالي ، والادارة البريطانية لطرابلس.

دار المحفوظات التاريخية

عرفنا فيما سبق ان السراي الحمراء كانت حصنا لمدينة طرابلس ، فاننا نستطيع اعتبارها الآن حصنا للتاريخ الليبي ، حيث تضم بين جدرانها مبنى دار المحفوظات التاريخية التي يستطيع الباحث أن ينهل من معين التاريخ العربي الليبي من خلال وثائقها ، تلك الوثائق التي يعتبرها الجميع وعاء التاريخ ، او الشاهد الوحيد لاحداث تاريخية مضت ومضى معها باقي الشهود.

ولدار المحفوظات التاريخية قصة ، فقد جاء الايطاليون سنة ١٩١١ م . بعنجهيتهم لاحتلال ليبيا وبربريتهم لطمس تاريخها ، حيث بدأوا باتلاف وثائق السراي الحمراء وكانت اول الوثائق المتضررة هي وثائق العهد العثماني الاول والعهد القرماني ولكنهم لم يصلوا الى وثائق العهد العثماني الثاني حيث وصل اليها قبلهم مستشرق كانت له كلمة مسموعة لدى السلطات الايطالية وطلب من هذه السلطات ايقاف عمليات اتلاف الوثائق فوافقت تلك السلطات وجمعت ما بقي من تلك الوثائق في مكان اسمته « مخزن الوثائق » حتى سنة ١٩٢٨ م . حيث صدر قرار بانشاء دار الوثائق تحت رقم ٦٠٧٦ ونشر بالعدد رقم ٢٦ لسنة ١٩٢٨ م . بالجريدة الرسمية الايطالية (١) وتنقسم دار المحفوظات التاريخية في الوقت الحاضر الى قسمين هما : مكتبة الدار التي

(١) الجريدة الرسمية الايطالية — دار المحفوظات — العدد ٢٦ لسنة ١٩٢٨ م . ص ١٥٤٧ .

اصدر الاخ رئيس مصلحة الآثار قراره بانشائها رقم ١١ لسنة ١٩٧٥ م . بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٧٥ م ، وهذه المكتبة متخصصة في التاريخ الاسلامي والعربي وآثارهما العلمية والادبية ، وقد جمعت كنواة لهذه المكتبة كتب من مختلف دول العالم ، وسيتم افتتاحها رسميا بمناسبة الاحتفال بالعيد الذهبي لدار المحفوظات التاريخية اي بمناسبة مرور خمسين سنة على انشاء دار المحفوظات التاريخية.

والقسم الثاني ويضم الوثائق التاريخية والمخطوطات العربية ويحتمل ان تضم المخطوطات العربية الى مكتبة الدار . وبالنسبة للوثائق فسنحدث عن أنواعها الموجودة بالدار في الصفحات التالية . وهذه الوثائق ترجع في معظمها الى العهد العثماني الثاني حيث ان معظم الوثائق مؤرخة فيما بين سنتي ١٨٣٥ - ١٩١١ م . ونلاحظ هنا أن الاتراك كانوا يستعملون التاريخ الهجري وتاريخا آخر خاصا بهم يسمى التاريخ المالي او السنة المالية ، وقد بدى استعمالها سنة ١٧٨٩ م . حيث ان أول سنة مالية بدأت في اول مارت ١٢٠٥ مالية الموافق ١٢ مارس ١٧٨٩ م . وتستخدم في تسمية شهور السنة المالية أسماء الشهور الميلادية التي تستخدم في المشرق العربي الآن أي حزيران وتموز .. الخ. ويستطيع الباحث أن يحول السنة المالية الى سنة ميلادية بأن يضيف الى السنة المالية رقم ٥٨٤ ، فيصبح الناتج هو السنة الميلادية ، مثلا سنة ١٢٠٥ مالية + ٥٨٤ = ١٧٨٩ م.

وتبدأ السنة المالية يوم ١ مارت من كل سنة وتنتهي يوم ٣٠ شباط ، اما ايام اشهر هذه السنة فهي كايام اشهر السنة الميلادية ، اي ان هناك اشهرا ذات ثلاثين يوما واخرى ذات واحد وثلاثين ، هذا وتضم دار المحفوظات التاريخية الانواع التالية من الوثائق

[illegible]

بلدية طرابلس

لا توجد بدار المحفوظات أية وثائق تخص بلديات اخرى غير بلدية طرابلس (١) ، والسبب في ذلك معروف حيث ان وثائق كل بلدية توجد بمقرها ، ولم تحول اية بلدية غير بلدية طرابلس وثائقها الى الدار.

ومن المعروف أنه قبل سنة ١٨٧٢ م . لم يدخل نظام البلديات الى ليبيا حيث كان لكل مدينة عمدة يلقب بشيخ البلد ويعينه الوالي . وكان لشيخ البلد هذا بعض الاختصاصات المخولة للبلديات . وفي السنة المذكورة أي سنة ١٨٧٢ م . طبق قانون البلديات العثماني الذي صدر في سنة ١٨٧١ م . حيث أنشئت بلدية طرابلس ، التي أعطيت لها اختصاصات شيخ البلد وبعض الاختصاصات الاخرى الجديدة ، ومنها منح رخص البناء والاشراف الصحي والصيدلي وتنظيم الاسواق والتسعيرة والاشراف على اماكن التسلية العامة وتنظيف المدينة وانارتها وكذلك جباية بعض الرسوم على ايرادات الاسواق والمذبح وضرائب المقاييس والمكايل والموازين ، كانت هذه كلها من اختصاصات البلدية.

ويجرنا الحديث عن الاختصاصات الى حديث عن اختصاصات أهم موظفي الولاية وشاغل أعلى المناصب فيها وهو الوالي ، الذي يتكرر اسمه في كل الوثائق تقريبا سواء بالحديث اليه أم عنه أو بالدعاء له أو عليه.

الوالي العثماني

يعتبر الوالي رئيسا للسلطة التنفيذية . وله حق ممارسة الاشراف على الشؤون الادارية

(١) توجد بضع وريقات تخص بلدية بنغازي ، كما ان البلديات الاخرى مذكورة في بعض الوثائق فمثلا حينما تنشأ مدرسة جديدة فان الوالي يقترح اسماء بعض البلديات كي ياخذ من وارداتها مبلغ للمساعدة في الانشاء .

والسياسية في حدود ولايته بالإضافة الى بعض الصلاحيات العسكرية اذا كان عسكريا في الأصل . وقد يتدخل الوالي في بعض قضايا البيع والشراء العقارية ، ويصدر أحكاما قضائية في هذه الأمور . وكانت اكثر القضايا التي يحدث فيها هذا التضارب في الصلاحيات هي القضايا الجزئية ، وكذلك قاد الوالي بنفسه كثيرا من الحملات ضد الثوار ، وعد مسؤولا عن سير العمليات الحربية رغم استقلال قائد الجيش .

وكان الوالي يتقاضى راتبا شهريا للقيام بنفقاته ، واختلف هذا الراتب من ولاية الى اخرى ، وحسب الرتبة التي كان الوالي يشغلها قبل تعيينه في منصب الولاية ، وكان راتب والي طرابلس في العادة هو مائة وخمسين جنيها ذهبا . وقد اختلفت جنسيات الولاة فمنهم اللبناني والشركسي وغيرهم وقليل من العرب او الترك ، وذلك لان معظمهم كانوا من المالكين الذين دخلوا في خدمة السلطان ثم ترقوا حتى بلغوا منصب الولاية ، حيث يعينون بعدها ولاية بفرمان (مرسوم) سلطاني .

ولقد كانت مهمة الوالي الرئيسية في ولايته هي ضمان ولائها للسلطان ، وتثبيت الأمن والعدل للمواطنين . ولقد مارس الوالي صلاحيات قضائية وعسكرية ومدنية ، وكثيرا ما امر بفرض عقوبات فورية ، وبقتل اشخاص من الثوار او الاشقياء بدون حكم من المحكمة ، وقد تدخل حتى في تحديد الاسعار ، وتأمين المواد الغذائية ، ومراقبة النقد ، ولكن لم يكن من واجبه القيام باصلاحات اقتصادية او اجتماعية او سن سنن جديدة بل كان هدفه الرئيسي المحافظة على الامر الواقع ومحاربة البدع وكل ما يتهدد النظام القائم .

ويساعد الوالي في ادارة الولاية عدد من الموظفين ارتبط بعضهم به مباشرة بينما ارتبط البعض الآخر بالعاصمة مباشرة . وسنتحدث عن بعض منهم في حينه .

هذا وتحوي وثائق دار المحفوظات التاريخية اعدادا هائلة من بيورولديات (١) الولاية ومراسلاتهم (٢) ، وبعض الفرمانات السلطانية التي عين بمقتضاها بعض الولاية.

المراسلات بين الأفضية

تتجر دار المحفوظات التاريخية بملفات تحوي عددا كبيرا من مراسلات ادارية متبدلة بين مختلف الأفضية والمتصرفيات في ليبيا . وهذه المراسلات كانت في أغلبها تتم بالتسلسل الاداري ، اذ لا يحق سوى للمتصرف مخاطبة الوالي في الامور الادارية . وكانت مراسلات مديري النواحي الى الوالي تمر على القائمقام ، ومنه الى المتصرف ، وهذا الأخير يحولها الى الوالي ، ومن النادر ان نجد مراسلات بين متصرف وآخر او قائمقام الى زميله ، حيث ان مثل هذه المراسلات في الامور العادية غير المستعجلة كان لابد من مرورها على مركز الولاية.

وكان التسلسل الاداري في العهد العثماني الثاني على شكل هرمي ، حيث نجد الوالي على قمة الهرم ثم يأتي المتصرف بعد الوالي من حيث الدرجة ، وهو من يمثل الوالي في متصرفيته ، اي انه كان يتولى تسيير الشؤون المدنية والمالية والامن ، ويمثل المتصرف في القائمقيات موظف يسمى القائمقام له نفس اختصاصات المتصرف في حدود قائمقاميته ، ويأتي في قاعدة الهرم مديرو النواحي ، وهؤلاء لهم نفس الاختصاصات السابقة ولكن في حدود الناحية التابعة لكل منهم ، ولم تكن لهؤلاء بصفة عامة سلطات واسعة على القبائل

(١) البيورولدي هو المرسوم أو القرار الولائي.

(٢) من المعروف ان مراسلات الوالي يتم ارسال وتحرير الصادر منها واستقبال الوارد عن طريق موظفي مكتبه وعلى رأسهم كاتب التحريرات « المكتوبجي » الذي قام بدور بارز في بعض الولايات العثمانية بينما لم يشعر بوجوده أحد في ولاية طرابلس .

المتواجدة في الناحية حيث نجد ان هذه السلطات يباشرها شيوخ القبائل ، وان لم تكن لهم الصفة الرسمية ، ولكنهم يعتبرون من بعض الوجوه مسؤولين امام السلطة عن تصرفات أبناء قبائلهم.

أما بالنسبة لتعيين المتصرف والقائمقام فكان يأتي من الاستانة ، أما المديرون فيأتي تعيينهم من طرف الوالي بعد اعتماد الحكومة المركزية.

وبالنسبة للتقسيم الاداري ، فقد كانت متصرفية بنغازي تتأرجح بين تبعيتها لولاية طرابلس وبين اعتبارها كمتصرفية مستقلة (١) تتبع الاستانة مباشرة وصدرت في هذا الخصوص عدة قرارات كان آخرها سنة ١٨٧٩ م . باعتبار بنغازي متصرفية تابعة للاستانة مباشرة ، وقد كانت ولاية طرابلس في العهد العثماني الثاني تتكون من اربعة الوية او متصرفيات هي : طرابلس ، وعاصمتها طرابلس ، الخمس ، ومركزها الخمس ، الجبل ، ومركزها يفرن ، فزان ، ومركزها مرزق ، اما بنغازي التي كانت كما ذكرنا متصرفية مستقلة يحكمها متصرف بنفس اختصاصات والي طرابلس ، فقط كان تابعا للقيادة العسكرية العامة في طرابلس باعتباره قائدا للقوات العسكرية في المتصرفية ، كذلك كانت لسلطات طرابلس سلطة التحكم في الامور البريدية والجمركية والقضائية في متصرفية بنغازي . وكانت هذه المتصرفية في اول امرها تنقسم الى ثلاث قائممقاميات هي : درنه ، والمرج ، وجالو . ثم انشئت قائممقامية قصر شغاب بالجبل الاخضر وقائمقامية طبرق - واخيرا في سنة ١٩٠٥ م . قائممقامية الجغبوب .

(١) أصبحت في احد القرارات ولاية تسمى ولاية بنغازي ، ولكن ذلك لم يدم طويلا.

قرارات مجلس الإدارة

مجلس إدارة الولاية هيئة استشارية ، وقراراته غير ملزمة للوالي وان كان هذا الاخير رئيسا له ، وكان اعضاء هذا المجلس مقسمين الى نوعين ، اعضاء باعتبار وظائفهم وهم الوالي ومعاونيه والقاضي والدفتردار والمكتوبجي وهؤلاء كانوا كبار موظفي الولاية ، والنوع الآخر من الاعضاء كانوا يختارون من بين الاهالي ، وكان عددهم ستة عشر عضوا ، اي بمعدل اربعة اعضاء عن كل متصرفية ، وكانت اختصاصات هذا المجلس تنحصر في ابداء المشورة في مسائل الولاية . وهذه المشورة تصدر في شكل قرارات ، وكانت اجتماعات هذا المجلس اسبوعية ، ولهذه الاجتماعات محاضر يوقع عليها الاعضاء الذين جرت العادة على استبدال ثلث المنتخبين منهم كل عام . وكانت هناك صور مصغرة من هذا المجلس في كل متصرفية وقائمية . هذا وتوجد بدار المحفوظات التاريخية أعداد متكاملة من سجلات قرارات المجلس الاداري للولاية.

المحاكم

تحتوي دار المحفوظات التاريخية مجموعات كبيرة من سجلات المحاكم المختلفة التي كانت توجد بطرابلس اثناء العهد العثماني الثاني ، واهم هذه المجموعات ، مجموعة سجلات المحكمة الشرعية التي تحوي بين دفتاتها القضايا الشرعية والاحوال الشخصية ، ووقفيات لبعض الاملاك ، وكذلك كانت تسجل بها بعض الاحداث الهامة التي كانت تحدث بين الفينة والاخرى ولنبدأ حديثنا عن انواع المحاكم بالمحكمة الشرعية.

تعتبر هذه المحكمة هي اقدم المحاكم التي كانت توجد بليبيا والتي لا تزال توجد حتى الآن ، وكان قاضي طرابلس الشرعي هو قاضي القضاة وهو حنفي المذهب ، اما نائبه فكان مالكي المذهب ، ومن المعروف أن عائلة العسوسي كانت تتوارث هذه النيابة حتى

اصبحت تسمى باسم « عائلة النائب » ، وكان قاضي القضاة يعين من قبل شيخ الاسلام في الاستانة ويتبعه ، ولا سلطة لوالي الولاية عليه ولا على باقي القضاة . كذلك تقوم الاستانة بتعيين النواب الشرعيين في المتصرفيات ، اما نواب النواحي فيعينهم قاضي القضاة في طربلس .

هذا وكانت القضايا التي تدرسها محكمة طرابلس تستأنف احكامها امام شيخ الاسلام في الاستانة ، اما باقي المحاكم فتستأنف احكامها امام قاضي طرابلس . وتوجد من بين سجلات المحاكم الشرعية بدار المحفوظات التاريخية سجلات تعود الى العهد القرماني .

محكمة البداية :

من المعروف ان جميع المحاكم العثمانية في ليبيا فيما عدا المحاكم الشرعية قد تأسست عام ١٨٦٩ م . وتركزت في المدن وتم الانتهاء من تنظيمها بعد ذلك بعشر سنوات اي في سنة ١٨٧٩ م .

وقد كانت اول درجة في هذه المحاكم هي محكمة البداية ، والتي كانت توجد في جميع المتصرفيات والقائمقاميات فيما عدا متصرفية فزان وقائمقامية فساطو ونالوت والحوض وسرت والجوش والتي بقي نظام القضاء فيها لم يتغير حيث كان كله بيد النائب الشرعي ، وكانت محكمة البداية تنظر في القضايا المدنية والحقوقية والجزائية .

محكمة الاستئناف :

كان مقر هذه المحكمة هو طرابلس ، وتشمل دائرة اختصاصها ولاية طرابلس وكذلك متصرفية بنغازي ، وهي تنظر في الطعون المرفوعة ضد احكام محاكم البداية . وكانت هذه المحكمة تنقسم الى دائرتين هما دائرة الجزاء ودائرة الحقوق ، وكان السطن في احكام هذه المحكمة يرفع راسا الى الاستانة حيث محكمة النقض وهي آخر المحاكم التي يلجأ اليها .

محكمة التجارة :

مقر هذه المحكمة هو مدينة طرابلس ، وان كانت هناك محكمة اخرى للتجارة في متصرفية بنغازي ، التي كانت احكامها تستأنف لدى محكمة طرابلس التجارية . وكما هو واضح من الاسم فهذه المحكمة كانت تختص بالنظر في قضايا تجارية محضة ، وتتألف هذه المحكمة من رئيس وقاضيين ، ويلحق بها احيانا حينما تكون القضية مختلطة بين اجانب ورعايا الدولة العثمانية قاضيان اجنبيان .

وكانت احكام القضايا والمنازعة التي يقل المبلغ عن خمسة آلاف قرش تركي غير قابلة للاستئناف . اما فيما عدا ذلك فان الاستئناف ضد احكام هذه المحكمة يتم لدى المحكمة التجارية في الاستانة .

المحاكم القنصلية ومحكمة الربّي :

كانت القضايا التي يكون طرفا النزاع فيها من اليهود تتم في محكمة خاصة بهم تسمى محكمة الربّي ، وكذلك نتيجة للامتيازات الاجنبية كانت لدى كل قنصلية من قنصليات الدول الأخرى الموجودة بطرابلس محكمة خاصة للنظر في القضايا التي يكون طرفاها من جنسية هذه الدولة ، اما اذا كانت الجنسيات مختلفة بين طرفي النزاع اي بين اجنبيين من جنسيتين مختلفتين فان قنصليات هذه الدول تتفق فيما بينها لتشكيل محكمة خاصة ، واذا تعذر الاتفاق فان هذه القضايا كانت تحال الى المحاكم العثمانية ، التي كانت تنظر ايضا في القضايا بين الاهالي والاجانب .

الشرطة والجندرمة :

كانت الشرطة في العهد العثماني الثاني تسمى البوليس ، وكان نظامهم يشبه نظام

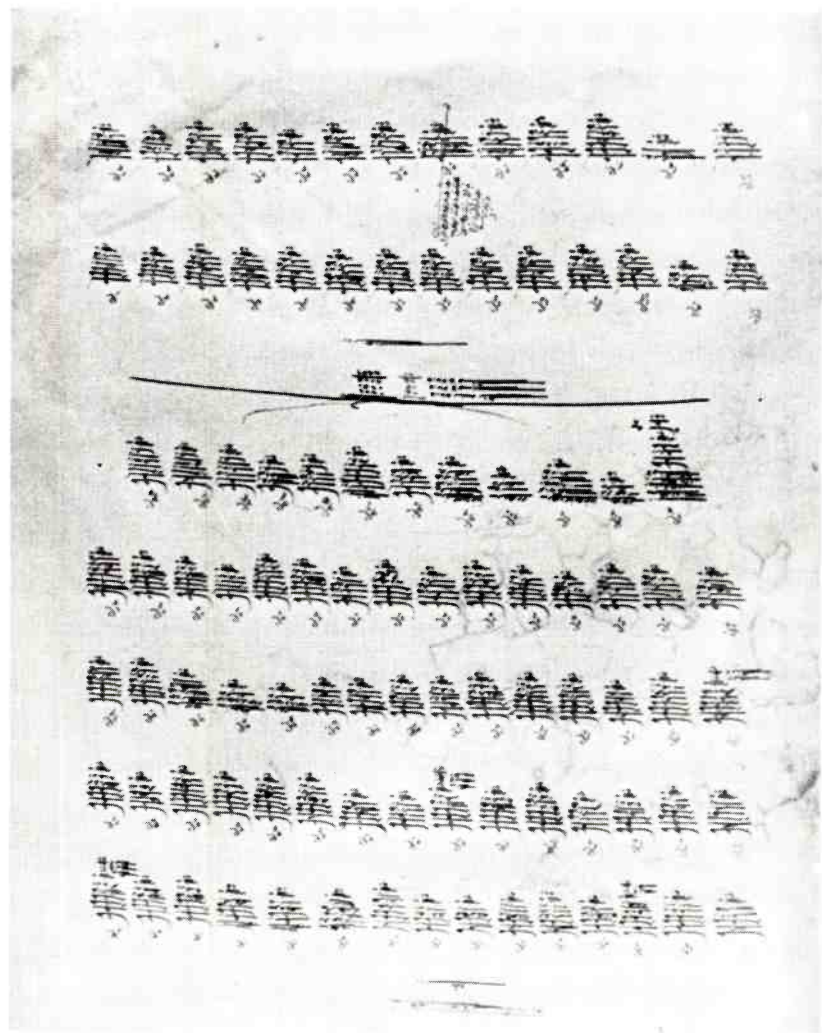
الشرطة في الوقت الحاضر . وكان البوليس يتبعون الداخلية ، ويرأسهم مدير البوليس ، وله جهاز اداري من نفس رجال البوليس . وتقارير هذا المدير تحول رأسا الى الوالي ، وكانت المسدسات هي سلاح البوليس ، وكان لباسهم يختلف كثيرا عن لباس الجيش والجندرية . اما وظيفة البوليس فتنحصر في الاهتمام بالامن العام في المدن والجرائم السياسية ومراقبة الاجانب ومراقبة الجوازات في الموانئ البحرية . وفي اواخر العهد العثماني الثاني انتشر تنظيم البوليس حتى في الدواخل ، وكان يشترط في من يدخل سلك البوليس شروط منها اللياقة الصحية والسن المحددة وان لا يكون المتقدم قد اشتغل في السابق بمهنة وضيعة ، وان يكون ملما بالقراءة والكتابة باللغتين العربية والتركية .

أما الجندرية فنظامهم عسكري ، يستعملون البنادق ، وترتيب رتبهم تماثل الرتب العسكرية في الجيش ، وكذلك لباسهم لا يختلف عن الجيش كثيرا ، وكانت وظيفتهم تتعلق بحفظ الأمن ومطاردة قطاع الطرق في الدواخل ومراقبة الجوازات في الحدود البرية . وكان القبول في سلك الجندرية غير مشروط بأي شرط سوى العمر واللياقة الصحية .

وفي دار المحفوظات التاريخية نجد نماذج من الوثائق التي تتعلق بهذين التنظيمين ، واهمها تحقيقات البوليس في بعض القضايا ، وكذلك تقارير مديرهم الى الوالي ، وبعض تقارير المخبزين السريين انذين كان الوالي يكلفهم ببعض المهام ، وهذه التقارير اغفلت من التوقيع عليها حيث كان الوالي فقط يعرف مرسلها ، اذ كان يقع اتفاق بين المخبر والوالي على بعض الاشارات السرية ليفهم الوالي من هو مرسل التقرير .

المحاسبة والضرائب :

« يمثل السلطة المركزية العليا في كل ما له علاقة بمالية الولاية ، وهو موضوع تحت



نموذج لحسابات الدولة العثمانية

امر الوالي ولكنه يرتبط مباشرة بوزير المالية . » . هكذا حددت المادة السابعة من قانون الولايات العثمانية وظائف الدفتردار الذي كان على رأس الجهاز المالي في الولاية ، وكان ينوب عنه المحاسب في المتصرفيات ومدير المال في القائمقاميات وتضم دائرة الدفتردار عددا كبيرا من الموظفين وعددا اكبر من جباة الضرائب . وكان جميع هؤلاء مطالبين بتقديم كفالات مالية من كفيل مشهود له بالثراء .

وتحوي دار المحفوظات التاريخية سجلات المالية واوراقها بعدد يكاد يصل نصف الوثائق الموجودة بها ومن هذه السجلات ما يهتم بتنظيم الواردات والمصروفات ، ومنها ما يهتم بجباية الضرائب ، التي كانت متنوعة ، ويمكننا تقسيمها الى ثلاثة انواع بحسب اوجه صرفها وهذه الانواع هي :

(١) ضرائب يرسل دخلها الى الاستانة للمساهمة في ميزانية الباب العالي ، ورغم انها من حق الليبيين الا انه ليس للوالي حق التصرف فيها الا باذن خاص ، وكانت الضرائب من هذا النوع سنة ١٩٠٨ م . على سبيل المثال قد حققت فائضا بلغ ٨٣١١٢٥ ليرة عثمانية ، وكانت تحصل من ثلاثة اوجه هي ضريبة الجمارك وكانت على الاستيراد والتصدير بمعدل ٨٪ ، وضريبة البريد والبرق ، وكما هو واضح كانت على الخدمات البريدية والبرقية ، وضريبة الميناء كانت في رسوم رسو السفن في الميناء وقد اعفيت منها السفن الاجنبية .

(٢) ضرائب تتعلق بالدين العثماني العام ، اي ايرادات المؤسسات العامة الحكومية والتي كانت خمس مؤسسات مستقلة هي : ادارات الدين العثماني العام والاحتكارات والصحة والمناثر وشؤون الاوقاف . وكانت واردات هذه الادارة الاخيرة تصرف على حاجات المدارس والمساجد والاعمال الخيرية المحلية ، ويرسل الفائض عنها الى الاستانة

في حين كانت واردات الادارات الاخرى تحول رأسا بمجملها الى الادارة المختصة في
الاستانة ، وقد بلغ الفائض في هذا النوع من الضرائب سنة ١٩٠٨ م . مبلغ ٧٩١٠٠٠
ليرة عثمانية.

٣) ضرائب يكون دخلها جزءا من ميزانيتي ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي ، وهذا
النوع هو الوحيد الذي يحقق عجزا دائما في ميزانيته بعد خصم المصروفات التي تصرف
على جبايته حيث انه في سنة ١٩٠٨ م . مثلا حقق عجزا بمبلغ ٣٤٣٣٢ ليرة تركية.

وكان من انواع هذه الضرائب الاخيرة ضريبة تسمى ضريبة الويركو ، وهي الضريبة
السنوية عن عدة اشياء ، منها : الضريبة الشخصية وتسمى التمتع ، وضريبة الحيوانات
وضريبة اشجار النخيل ، وضريبة الآبار الخاصة ، كذلك وجهت الدولة العثمانية سنة
١٨٩٧ م . نداء الى جميع الولايات العثمانية ومنها طرابلس التي نستطيع أن نسميها
« بفترة الدولة العثمانية الحلوب » ، وكان النداء موجها للمساهمة في الحرب التركية
اليونانية ماديا ، وكان من المفروض ان تكون هذه المساهمة ذات طابع مؤقت ، وقد حدث
هذا بالفعل في جميع الولايات العثمانية الا في طرابلس حيث ظلت هذه المساهمة مفروضة
وتشكل مصدرا دائما من مصادر الدخل.

وكذلك من انواع هذه الضرائب ضريبة العشر الشرعي على المنتجات الزراعية .
وضريبة الاعفاء من الخدمة العسكرية وكانت تجبى من اليهود ، وضريبة العقارات .
وضريبة الدخل على ارباح التجار واصحاب الحوانيت وضريبة المعادن الثمينة ، واخيرا
ضريبة بدل الطريق.

القنصليات والعهد القرماني

هناك ملفات بدار المحفوظات التاريخية تحوي انواعا من المراسلات التي كانت تتم بين السلطات المحلية والقنصليات الاجنبية في طرابلس اثناء العهد العثماني الثاني ، وبضع اوراق منها ترجع الى العهد القرماني حيث كانت الدبلوماسية انشط في هذا العهد ، ومنها كذلك الاتفاقيات المبرمة بين يوسف باشا القرماني والدول الاوروبية . كذلك تحوي دار المحفوظات التاريخية وثائق العهد القرماني صورا اغلبها من دار الوثائق القومية بتونس .

الصحافة والمخطوطات :

شهدت سنة ١٨٦٦ م . مولد اول صحيفة تصدر في ليبيا وهي صحيفة طرابلس الغرب . وان كان اول عدد من هذه الصحيفة وللأسف غير موجود بدار المحفوظات التاريخية ، الا انه توجد اعداد قديمة اخرى منها ومن غيرها من الصحف التي صدرت بعدها اثناء العهد العثماني الثاني ، ومنها : الترقى ، ومجلة الفنون ، وتعميم حريت ، وسلنامة الولاية . وهذه الاخيرة هي حولية الولاية وتحوي معلومات هامة عن الولاية كل سنة منها اسماء الموظفين ومعلومات تاريخية وجغرافية وفلكية ايضا ، كذلك من بين هذه الصحف القديمة هناك صحف تصدر في بعض الدول الاخرى .

أما بالنسبة للمخطوطات العربية فقد كانت نادرة الوجود بالدار ، وان وجدت فهي عبارة عن اوراق لا تكون اي منها كتابا بمجمله ، الا في السنوات الاخيرة حيث اهتمت ادارة مصلحة الآثار بها ، وبدأت في تجميع اعداد لا بأس بها من المخطوطات من داخل البلاد وخارجها ومعظم المخطوطات بالدار تتحدث عن الفقه والحديث الشريف واللغة العربية.

المراجع

١) التقارير الرسمية ...

- (أبو حامد) محمود الصديق ، تقرير عن مدينة طرابلس القديمة.
(حامد) سعيد علي ، تقرير عن مدينة طرابلس القديمة.
(النمس) محمود عبد العزيز ، تقرير عن السراي الحمراء.
(الاسطى) محمد محمد ، تقرير عن السراي الحمراء.
(عون) عبد العال مفتاح ، تقرير عن دار المحفوظات التاريخية.

٢) الكتب ...

- (التيجاني) أبو محمد عبد الله ، تقييد الرحلة ، المطبعة الرسمية ، تونس ١٩٥٨ م .
(الانصاري) أحمد النائب ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، دار الفرجاني للنشر.
(الحشاشي) محمد بن عثمان ، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ، تحقيق الاستاذ علي مصطفى المصري ، دار لبنان ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٥ م .
(الدجاني) أحمد صدقي ، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي ، المطبعة الفنية ، مصر ١٩٧١ م .
(الزاوي) الطاهر احمد ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المعارف مصر .
(الحصري) ساطع ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٥ م .
(برنيا) كوستانزيو ، طرابلس من ١٥١٠ الى ١٨٥٠ م . ترجمة الاستاذ خليفة التليسي ، دار الفرجاني طرابلس ، الطبعة الاولى ١٩٦٩ م .
(روسي) اتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١ م . ترجمة الاستاذ خليفة التليسي ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٤ م .
(كورو) فرانكسكو ، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ، ترجمة الاستاذ خليفة التليسي دار الفرجاني للنشر ، طرابلس ١٩٧١ م .
(راي) ادوارد ، المغرب العربي ، طرابلس ولبدة
جودة ، دار الفكر ، طرابلس ١٩٦٨ م .

(فيرو) شارل ، **الحواليات الليبية** ، ترجمة الاستاذ محمد عبد الكريم الوافي ،
دار الفرجاني.
(هاينز) د. أ. ، **آثار طرابلس الغرب** ، مطبوعات مصلحة الآثار الليبية.
الآنسة توللي ، **عشرة أعوام في طرابلس** ، ترجمة د. عبد الجليل الطاهر ، دار ليبيا .
بنغازي ١٩٦٧ م.

(Guidi) Giacomo : **Il restauro del castello di Tripoli**. Tripoli 1935.

(Aurigemma) S. : **Il castello di Tripoli di barberia**. Milano 1926.

- وقد رجعت الى أعداد كبيرة من وثائق دار المحفوظات التاريخية.

الفهرس

الصفحة

٥	المقدمة
٧	قلعة طرابلس
٣٠	دار المحفوظات التاريخية
٣٣	بلدية طرابلس
٣٣	الوالي العثماني
٣٦	المراسلات بين الاقضية
٣٩	قرارات مجلس الادارة
٣٩	الحاكم
٤٠	محكمة البداية
٤٠	محكمة الاستئناف
٤١	محكمة التجارة
٤١	المحاكم القنصلية ومحكمة الربى
٤١	الشرطة والجندرية
٤٣	المحاسبة والضرائب
٤٧	القنصليات والعهد القرماني
٤٧	الصحافة والمخطوطات
٤٨	المراجع
٥١	

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

@q • KDe&@q^E! * E^ca • D @e • æ ' ã!æ@{

